

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَهُدَىٰ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 102]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعد دفع الافتراء
بين ماهية
القرآن

في الآية السابقة أَبْطَلَ اللَّهُ دَعْوَى الْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِ ﷺ أَنَّهُ مَفْتَرٍ بِطَرِيقَةِ النَّقْضِ بِنَفْيِ الْعِلْمِ عَنْ أَكْثَرِهِمْ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا هِيَ الْقُرْآنُ، فَأَمَرَ رَسُولَهُ الْكَرِيمَ ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَىٰ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (1).

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾: أصل (روح): مُطَرَّدٌ، يَدُلُّ عَلَى سَعَةٍ وَفُسْحَةٍ وَأَطْرَادٍ، وَأَصْلُ ذَلِكَ كُلِّهِ الرِّيحُ، وَأَصْلُ الْيَاءِ فِي الرِّيحِ الْوَاوُ، وَإِنَّمَا قُلِبَتْ يَاءٌ لِكَسْرَةِ مَا قَبْلَهَا، فَالرُّوحُ رُوحُ الْإِنْسَانِ، وَإِنَّمَا هُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الرِّيحِ، وَكَذَلِكَ الْبَابُ كُلُّهُ (2)، وَالرُّوحُ جَوْهَرٌ نُورَانِي لَطِيفٌ؛ أَيٌّ: غَيْرُ مُدْرِكٍ بِالْحَوَاسِّ، فَيُطْلَقُ عَلَى النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْإِنْسِ، وَلَا يُطْلَقُ عَلَى مَا بِهِ حَيَاةُ الْعَجَمَاوَاتِ إِلَّا لَفْظُ نَفْسٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإشراء: 85]، وَيُطْلَقُ عَلَى قُوَّةٍ مِنْ لَدُنِ اللَّهِ تَعَالَى يَكُونُ بِهَا عَمَلٌ عَجِيبٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ: ﴿فَتَفَخَّنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [التَّحْرِيم: 12]، وَيُطْلَقُ عَلَى جِبْرِيلَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٥٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الشُّعْرَاء: 193 - 194]، وَالرُّوحُ: الْمَلَكُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مُزَيْم: 17]، أَيٌّ: مَلَكًا مِنْ مَلَائِكَتِنَا، وَالْقُدُسُ: الطُّهُرُ؛ وَرُوحُ الْقُدُسِ: رُوحٌ مُضَافٌ إِلَى النَّزَاهَةِ وَالطُّهُرِ، وَالْمُرَادُ بِهِ جِبْرِيلُ ﷺ (3).

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 284 / 14.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (روح).

(3) الأزهري، تهذيب اللغة، والزَّاف، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (روح)، وابن عاشور،

التحرير والتنوير: 272 / 14، و596.

(2) ﴿لَيَنْتَبِتَ﴾: أصلُ (ثَبَتَ): كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ، تَدُلُّ عَلَى دَوَامِ الشَّيْءِ، يُقَالُ: ثَبَتَ ثَبَاتًا وَثُبُوتًا⁽¹⁾، وَمِنْهُ: ثَبَتُ الْجَنَانُ: مَاضٍ فِي الْأَمْرِ وَالْحَرْبِ، وَاثْبَتَ حُجَّتَهُ: أَقَامَهَا، وَثَبَتَ الْقَوْلُ وَالْأَمْرُ: وَضَحَ، وَرَجُلٌ ثَبَتٌ، أَي: حُجَّةٌ، وَالثَّابِتُ: اللَّازِمُ الْوَاقِفُ⁽²⁾، وَالثَّبْتُ: الْمُسْتَبْتُ فِي الْأُمُورِ، وَالْإِثْبَاتُ وَالتَّثْبِيتُ تَارَةً يُقَالُ بِالْفِعْلِ، فَيُقَالُ لِمَا يَخْرُجُ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ، نَحْوُ: أَثْبَتَ اللَّهُ كَذَا، وَتَارَةً لِمَا يَثْبُتُ بِالْحُكْمِ، فَيُقَالُ: أَثْبَتَ الْحَاكِمُ عَلَيْهِ كَذَا، أَوْ ثَبَّتَهُ، وَتَارَةً لِمَا يَكُونُ بِالْقَوْلِ سِوَاءً كَانَ صِدْقًا أَمْ كَذِبًا، فَيُقَالُ: أَثْبَتَ التَّوْحِيدَ، وَصَدَّقَ النُّبُوَّةَ، وَفُلَانٌ أَثْبَتَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ⁽³⁾، وَحَقِيقَةُ التَّثْبِيتِ فِي الْآيَةِ: جَعَلَ الشَّيْءَ ثَابِتًا قَارًا فِي مَكَانٍ، وَالْمُرَادُ بِهِ: بَيَانٌ لِرُسُوخِ إِيْمَانِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَدَادِ آرَائِهِمْ فِي فَهْمِ الْكَلَامِ السَّامِيِّ، وَأَنَّهُ تَثْبِيتٌ لِقُلُوبِهِمْ بِصِحَّةِ الْيَقِينِ وَهُدًى وَبُشْرَى لَهُمْ⁽⁴⁾.

(3) ﴿وَهْدًى﴾: أصلُ (هَدَى): الرِّشَادُ وَالْبَيَانُ وَالِدَّلَالَةُ بِلُطْفٍ إِلَى مَا يُوَصِّلُ إِلَى الْمَطْلُوبِ، يُؤَنَّثُ، وَيُذَكَّرُ، وَهُوَ لَازِمٌ وَمُتَعَدٍّ، يُقَالُ: هَدَاهُ، هُدًى، وَهَدِيًّا، وَهَدِيَّةً، وَهَدَاهُ لِلدِّينِ وَإِلَى الدِّينِ، أَي: أَرَشَدَهُ إِلَيْهِ، وَبَيَّنَّهُ لَهُ، وَعَرَّفَهُ بِهِ، وَضَدُّهُ: الضَّلَالُ، وَمِنْ مَعَانِيهِ أَيْضًا: الطَّاعَةُ، وَالْوَرَعُ، وَطَرِيقُ الْحَقِّ، وَإِخْرَاجُ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ، وَالنَّهَارُ⁽⁵⁾، وَالْمَقْصُودُ بِالْهُدَى فِي الْآيَةِ: الْإِرْشَادُ إِلَى مَا فِيهِ صَلَاحُ الْعَاجِلِ الَّذِي لَا يَنْقُضُ صَلَاحَ الْآجِلِ.

(4) ﴿وَبُشْرًى﴾: أصلُ (بُشِرَ): وَاحِدٌ: ظُهُورُ الشَّيْءِ مَعَ حُسْنٍ وَجَمَالٍ؛ فَالْبُشْرَةُ ظَاهِرُ جِلْدِ الْإِنْسَانِ، وَمِنْهُ: بَاشَرَ الرَّجُلُ الْمَرَأَةَ، وَذَلِكَ إِفْضَاؤُهُ بِبُشْرَتِهِ إِلَى بَشَرَتِهَا، وَسُمِّيَ الْبَشَرُ بَشْرًا لِظُهُورِهِمْ، وَالبُشَيْرُ: الْحَسَنُ الْوَجْهِ، وَالبُشَارَةُ: الْجَمَالُ، وَالبُشْرَةُ: انْتِشَارٌ وَاسِعٌ عَلَى ظَاهِرِ الشَّيْءِ كَانْتِشَارُ الشَّعْرِ عَلَى الْجِلْدِ، وَأَصْلُ الْبُشْرِ - بِالْكَسْرِ - : الطَّلَاقُ وَالبُشَاشَةُ وَبَسَطَ الْوَجْهَ: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الْأَصْفَاتُ: 101]⁽⁶⁾، وَالبُشْرَى: الْخَبَرُ الَّذِي يُغَيِّرُ الْبُشْرَةَ مِنْ حُزْنٍ أَوْ سُرُورٍ، ثُمَّ خُصَّ فِي عُرْفِ اللُّغَةِ بِالسُّرُورِ، وَلَا تَكُونُ إِلَّا بِالْخَبَرِ الْأَوَّلِ⁽⁷⁾، فَيُقَالُ:

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (ثبت).

(2) ابن عباد، الحيط في اللغة: (ثبت).

(3) الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز: 347/2.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 285/14.

(5) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، المحكم، وابن الأثير، النهاية، وابن منظور، لسان العرب، والزيدي، تاج العروس: (هدى)، والجرجاني، التعريفات، ص: 277، والمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 343.

(6) جبل، للعجم الاشتقاق للوصل: (بشر).

(7) النووي، تحرير ألفاظ التنبيه، ص: 267، والبقاعي، نظم الدرر: 184/11.

أَبَشَّرْتُ الرَّجُلَ، وَبَشَّرْتُهُ، أَي: أَخْبَرْتُهُ بِأَمْرٍ سَارٍّ⁽¹⁾، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ مِنَ الْبَشْرِ وَهُوَ السُّرُورُ؛ لِأَنَّهَا تَطْهَرُ طَلَاقَةً وَجْهَ الْإِنْسَانِ وَفَرَحَهُ، وَالْمَقْصُودُ بِالْبَشْرِ فِي الْآيَةِ: خَبَرٌ بِحَصُولِ مَا فِيهِ نَفْعٌ وَمَسْرَّةٌ لِلْمُخْبَرِ بِهِ.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

بَيَّنَّ ﷻ لَهُؤُلَاءِ الْمَعْتَرِضِينَ عَلَى حِكْمَةِ النَّسْخِ، الرَّاعِمِينَ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَأَنَّ رَسُولَهُ ﷺ افْتَرَاهُ، فَقَالَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ ﷺ لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: لَيْسَ هَذَا الْقُرْآنُ مُفْتَرًى مِنْ عِنْدِي، وَإِنَّمَا نَزَّلَهُ عَلَيَّ - نَاسِخُهُ وَمَنْسُوخُهُ - جَبْرِيلُ الْمُطَهَّرُ مِنْ كُلِّ خِيَانَةٍ وَهَوًى، وَعَيْبٍ وَآفَةٍ، نَزَّلَهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّي سُبْحَانَهُ مُشْتَمِلًا عَلَى الْحَقِّ؛ بِالصَّدَقِ فِي الْأَخْبَارِ، وَالْعَدْلِ فِي الْأَحْكَامِ، بَلَا خَطَأٍ فِيهِ وَلَا تَحْرِيفٍ؛ لِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْحَقِّ، وَيُقَوِّيَ إِيْمَانَهُمْ، وَهُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبُشْرَى بِالْخَيْرِ لِلَّذِينَ اسْتَسْلَمُوا لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَضَعُوا لَهُ، وَانْقَادُوا إِلَى مَا أَنْزَلَهُ، فَأَقْرَؤْا بِذَلِكَ، وَصَدَّقُوا بِهِ قَوْلًا وَعَمَلًا⁽²⁾.

❁ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالْبَلَاغِيُّ:

بلغة الفصل في الآية:

وَقَعَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾؛ جَوَابًا عَنْ قَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾؛ لِذَا فُصِّلَ فِعْلُ ﴿قُلْ﴾ لِيُفَوِّدَهُ فِي الْمَحَاوَرَةِ، أَي: قُلْ لَهُمْ: لَسْتُ بِمُفْتَرٍ، وَلَا الْقُرْآنُ بِافْتِرَاءٍ، بَلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنَ اللَّهِ، وَفِي أَمْرِهِ بِأَنْ يَقُولَ لَهُمْ ذَلِكَ شَدُّ لِعَزْمِهِ؛ لِكَيْلَا يَكُونَ تَجَاوُزُهُمُ الْحَدَّ فِي الْبُهْتَانِ صَارِفًا إِيَّاهُ عَنْ مُحَاوَرَتِهِمْ⁽³⁾.

النَّسْخُ وَاقِعٌ
فِي الْقُرْآنِ
لِحِكْمَةٍ هِيَ
مِرَاعَاةُ لِلصَّالِحِ
وَالْحَوَادِثِ
وَتَطَوُّرُ الْأَوْضَاعِ
الْبَشَرِيَّةِ

شَدُّ عَزْمِ الرَّسُولِ



(1) ابن الأنباري، الزَّاهِرُ فِي مَعَانِي كَلِمَاتِ النَّاسِ: 2/ 128، وَالْعَوْنِيُّ، الْإِبَانَةُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ: 2/ 280.

(2) ابن جرير، جَامِعُ الْبَيَانِ: 14/ 363، 364، وَابْنُ كَثِيرٍ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ: 4/ 603، وَالسَّعْدِيُّ،

ص: 449، وَالشَّنْقِيطِيُّ، أَصْوَاءُ الْبَيَانِ: 2/ 453.

(3) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 14/ 284.

دلالة الأمر ﴿قُل﴾:

دَلَّ الأَمْرُ ﴿قُل﴾ على أَنَّ ما لُقِّنَه الرَّسُولُ ﷺ رسالةً مهمَّةٌ يجب تبليغها فور تلقِّيها، وفيها تثبُّتٌ له ﷺ بتلقينه حُجَّتَه لإبطال مَزَاعم مُنْكَري نُبوَّته ﷺ.

رسالةً مهمَّةٌ
يجب تبليغها
فور تلقِّيها

بلادة الالتفات:

في قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ﴾ التفاتٌ مِنَ التَّكَلُّمِ إِلَى الْخِطَابِ؛ حيث كان مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يَقُولَ: (مِنْ رَبِّي)؛ وذلك لِتَأْنِيسِ النَّبِيِّ ﷺ بِزِيَادَةِ تَوَعُّلِ الْكَلَامِ مَعَهُ فِي طَرِيقَةِ الْخِطَابِ، وَاحْتِيَرِ اسْمُ الرَّبِّ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْعِنَايَةِ وَالتَّدْبِيرِ وَاللُّطْفِ⁽¹⁾.

تأْنِيسِ النَّبِيِّ ﷺ
بِزِيَادَةِ
تَوَعُّلِ الْكَلَامِ
مَعَهُ

سُرُّ التَّعْبِيرِ بفعل التَّنْزِيلِ ماضياً:

عُبرَ بفعل التَّنْزِيلِ ماضياً في قوله: ﴿نَزَّلَهُ﴾؛ لمطابقتها للواقع؛ حيث نزلتْ كَثِيرٌ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَسُورِهِ قَبْلَ نَزُولِ تِلْكَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، فَكَانَ التَّعْبِيرُ بِالْمَاضِي تَحْقِيقاً لِلْإِنْزَالِ وَتَأْكِيداً لَهُ، وَتَعْبِيرًا عَنْ زَمَنِ نَزُولِهِ.

التَّعْبِيرُ بِالْمَاضِي
تَحْقِيقُ التَّنْزِيلِ
وَتَأْكِيدُ لَهُ

إيثار فعل التَّنْزِيلِ على الإِنْزَالِ:

أَوْثَرُ فِعْلُ التَّنْزِيلِ عَلَى الْإِنْزَالِ، فَقَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿نَزَّلَهُ﴾؛ لِمُنَاسَبَتِهِ لِلْمَقَامِ؛ بِالْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لَمْ يَنْزَلْ دَفْعَةً وَاحِدَةً، بَلْ نَزَلَ بِالتَّدرِجِ عَلَى حَسَبِ الْمَصَالِحِ مِمَّا يَسْتَدْعِي التَّبْدِيلَ، بِنَاءً عَلَى دَلَالَةِ صِيغَةِ (فَعَّلَ) عَلَى الْعَمَلِ الْمُتَكَرِّرِ فِي مُهْلَةٍ، أَيْ: وَجُودِ أَصْلِهِ شَيْئاً فَشَيْئاً، فَتَنْزِيلُ الْقُرْآنِ: تَوْزِيعُ نَزُولِهِ عَلَى الْأَوْقَاتِ بِنَاءً عَلَى مَصَالِحِ النَّاسِ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنْ يُنْسخَ حُكْمُ آيَةٍ، وَيُبَدَّلَ مَكَانُهُ؛ لِاخْتِلَافِ الْمَصَالِحِ بِاخْتِلَافِ الْأَوْقَاتِ؛ لِذَلِكَ فَلَا غَرَوَ مِنْ أَنْ يَكُونَ

دلالة صيغة
(فَعَّلَ) على
العمل المتكرر في
مهلة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 284 / 14.

إنزاله مُتَدَرِّجًا على حَسَبِ المَصلَحِ مُسْتَلَزِمًا لِلنَّسخِ والتَّبدِيلِ
وَمُقْتَضِيًا إِيَّاهُ⁽¹⁾.

عَوْدُ الضَّمِيرِ فِي «نَزَّلَهُ»:

يعود الضَّمِيرُ فِي «نَزَّلَهُ» إِلَى الْقُرْآنِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ بِالآيَةِ الْكَرِيمَةِ⁽²⁾.

نُكْتَةُ إِضْمَارِ الْمُنْزَلِ:

أُضْمِرَ الْمُنْزَلُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ
بِالْحَقِّ»؛ لِتَفْخِيمِهِ، وَلِلدَّلَالَةِ عَلَى عُمُومِ التَّنْزِيلِ.

بَلَاغَةُ إِضَافَةِ الرُّوحِ إِلَى الْقُدُسِ:

المقصود بروح القدس جبريل عليه السلام، و«رُوحُ الْقُدُسِ» يَعْنِي بِأَنَّهُ
الرُّوحُ الْمُطَهَّرُ مِنَ الْأَدْنَسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَإِضَافَةُ الرُّوحِ إِلَى الْقُدُسِ، وَهُوَ
الطُّهْرُ كإِضَافَةِ حَاتِمٍ إِلَى الْجُودِ، حَيْثُ قِيلَ: حَاتِمُ الْجُودِ لِلْمُبَالِغَةِ
فِي ذَلِكَ الْوَصْفِ، كَأَنَّهُ طَبَعَ مِنْهُ؛ أَيُّ: لِلْمُبَالِغَةِ فِي كَثَرَةِ مُلَابَسَتِهِ لَهُ
وَإِخْتِصَاصِهِ بِهِ⁽³⁾.

وجه إسناد الإنزال إلى روح القدس بعد إسنادِهِ إليه تعالى:

فِي إِسْنَادِ الْإِنْزَالِ هُنَا إِلَى رُوحِ الْقُدُسِ بَعْدَ إِسْنَادِهِ إِلَيْهِ تَعَالَى
فِي قَوْلِهِ: «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ» بَيَانُ لِمَكَانَةِ جَبْرِيلَ عليه السلام، فَهُوَ سَفِيرُ
السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَمِينُ الْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ.

بَلَاغَةُ الْإِسْتِعَارَةِ فِي «رُوحُ الْقُدُسِ»:

قَوْلُهُ تَعَالَى: «رُوحُ الْقُدُسِ» مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمُوصُوفِ إِلَى
مَصْدَرِ الصِّفَةِ لِلْمُبَالِغَةِ فِي كَثَرَةِ مُلَابَسَتِهِ لَهُ وَإِخْتِصَاصِهِ بِهِ، وَقَدْ
أَشَارَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ إِلَى أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ الْمَجَازِ، فَقَالَ: "وهذه
استعارة؛ لِأَنَّ الْمَرَادَ بِذَلِكَ جَبْرِيلَ عليه السلام، وَالتَّقْدِيسُ: الطَّهَارَةُ، وَإِنَّمَا

تفخيم المنزل،
والدلالة على
عمومه

البالغة في
الوصف بالطهر

مكانة جبريل



حياة الدِّينِ
وطهارة المؤمنين
إنما تكون بما
نزل به الرُّوح
الأمين

(1) شيخ زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي: 325/5، والشَّهابُ الْخَفَاجِيُّ، عناية الفاخي: 369/5.

(2) أبو السُّعُود، إرشاد العقل السَّليم: 401/3.

(3) أبو السُّعُود، إرشاد العقل السَّليم: 401/3، والقونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 383/11.

سُمِّي رُوحُ الْقُدُس؛ لِأَنَّ حَيَاةَ الدِّينِ وَطَهَارَةَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا تَكُونُ بِمَا يَحْمِلُهُ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ ﷺ مِنَ الْأَحْكَامِ وَالشَّرَائِعِ، وَالْأَدَابِ وَالْمَصَالِحِ⁽¹⁾.

دلالة ﴿مِنْ﴾:

﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ لِبِتْدَاءِ الْغَايَةِ؛ وَلِبَيَانِ مَصْدَرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَلِإِبْطَالِ قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ لِلرُّسُولِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾.

بيان مصدر
القرآن الكريم

سِرُّ إِيثار لفظ الرُّبُوبِيَّةِ، وإضافته إلى الكاف:

وأوثر التَّعْبِيرُ بِالرُّبُوبِيَّةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْعَنَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَالرَّعَايَةِ وَاللُّطْفِ بِهِ، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمَدْلُولُ الْغَوِيُّ لِلْكَلِمَةِ.

تشريف الرسول
ﷺ، والإغراض
عن مُعَارَضِيهِ

وَأُضِيفَ (الرَّبُّ) إِلَى ضَمِيرِهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَحْقِيقِ إِفَاضَةِ آثَارِ الرُّبُوبِيَّةِ عَلَيْهِ ﷺ مَا لَيْسَ فِي إِضَافَتِهِ إِلَى يَاءِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُنْبِئَةِ عَنِ التَّلْقِينِ الْمُحْضِ⁽²⁾؛ "وَكَاَنَّهُ - اِعْتِنَاءً بِأَمْرِ هَذِهِ الدَّلَالَةِ - لَمْ يَقُلْ: (مِنْ رَبِّكُمْ)؛ عَلَى أَنَّ فِي تَرْكِ خِطَابِهِمْ مِنْ حَطِّ قَدْرِهِمْ مَا فِيهِ"⁽³⁾.

وَفِي الْإِضَافَةِ إِلَى كَافِ الْخِطَابِ أَيْضًا تَشْرِيفٌ لِلرُّسُولِ ﷺ بِاخْتِصَاصِ الْإِضَافَةِ، وَإِعْرَاضٌ عَنْ مُعَارَضِيهِ؛ إِذْ لَمْ يُضِفْ إِلَيْهِمْ⁽⁴⁾، وَالِاقْبَالُ عَلَيْهِ ﷺ بِالْخِطَابِ وَحْدَهُ، فَلَا يَخْفَى عَوْدُ الضَّمِيرِ فِي ﴿رَبِّكَ﴾ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ.

دلالة الباء، ووجه تعريف الحق:

الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بِالْحَقِّ﴾ لِلْمُلَابَسَةِ، وَشَبَهَ الْجُمْلَةَ فِي مَحَلِّ نَصَبِ حَالٍ، وَالتَّقْدِيرِ: (نَزَلَهُ مُلْتَبِسًا بِالْحَقِّ)؛ أَيُّ: بِالْحِكْمَةِ، وَتَدُلُّ

النَّسخ من
جملة الحق

(1) الشَّرِيف الرَّضِيُّ: تَلْخِصُ الْبَيَانِ، ص: 167.

(2) أَبُو الشَّعُودِ، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 3/ 401.

(3) الْأَلُوسِي، رُوحُ الْمَعَانِي: 14/ 231، وَالْقَاسِمِيُّ، مَحَاسِنُ التَّأْوِيلِ: 10/ 3859.

(4) أَبُو حَتِّانٍ، الْبَحْرُ لِلْحَيْطِ: 5/ 221.

على شِدَّةِ التصاقِ المُنَزَّلِ مِنَ اللَّهِ تعالى ناسِخًا أو منسوخًا بالحقِّ،
وأيضًا على استغراقه الحقُّ كُلَّهُ، ومصاحبته له، وزاد صاحبُ البحرِ
المحيط أنَّ النَّسْخَ مِنْ جُمْلَةِ الحقِّ، سَوَاءٌ كَانَ ناسِخًا أو منسوخًا،
فَكُلُّهُ مَصْحُوبٌ بِالْحَقِّ لَا يَعْتَرِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْبَاطِلِ⁽¹⁾.

ويمكن أن تكون الباءُ بمعنى حرفِ المصاحبة: (مَعَ)، والمعنى؛
أي: مع الحقِّ في أوامره ونواهيه وأخباره، ويُحتمل أن يكون قوله
تعالى: ﴿بِالْحَقِّ﴾ بمعنى (حقًّا) أو بمعنى أنه واجب النُّزول⁽²⁾.

دلالة الأَلام، وتوجيه التعبير عن التَّثْبِيتِ بالمُضَارِعِ الْمُضَعَّفِ:

الآلامُ في قوله تعالى: ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ للتَّعْلِيلِ؛ حيث أشارت
إلى عِلَّةِ التَّنْزِيلِ بالنَّسْخِ.

وفي التعبير عن التَّثْبِيتِ بالمُضَارِعِ الْمُضَعَّفِ إشارةٌ إلى قُوَّةِ التَّثْبِيتِ
ومتانتِهِ ورسوخِهِ؛ إذ إنَّ زِيَادَةَ المَبْنَى تدُلُّ على زِيَادَةِ المعْنَى، والمرادُ:
لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى الْحَقِّ وَبَيَّذِ وَسَاوِسَ الشَّيَاطِينِ.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِجُمْلَةِ الصَّلَةِ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾:

أوثر التَّعْبِيرُ بِالاسْمِ المَوْصُولِ؛ لِتَعْلِيلِ الْحُكْمِ بِالتَّثْبِيتِ لِلَّذِينَ
آمَنُوا مِنْ خِلَالِ جُمْلَةِ الصَّلَةِ، وَعُدِلَ عَنْ اسْمِ الْفَاعِلِ (الْمُؤْمِنِينَ)
إِلَى ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾؛ لِلإِشَارَةِ إِلَى تَحَقُّقِ إِيْمَانِهِمْ وَرُسُوخِهِ وَتَأَكُّدِهِ.

توجيه عطف الاسم على الفعل:

والواو عطفَتْ قوله تعالى: ﴿وَهْدَى وَبُشِّرَى﴾ على قوله سبحانه:
﴿لِيُثَبِّتَ﴾، وقد وَجَّهَ ابْنُ عَاشُورِ عَطْفَ الاسْمَيْنِ: ﴿وَهْدَى وَبُشِّرَى﴾
على الفعلِ ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ بِأَنَّهُمَا مَصْدَرَانِ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ عَلَى الْمَفْعُولِ
لِأَجْلِهِ؛ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ الْمُنْسَبَكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيُثَبِّتَ﴾ فِي مَحَلِّ نَصْبٍ، وَإِنْ

الإشارة إلى عِلَّةِ
التَّنْزِيلِ بِالنَّسْخِ

إِيْمَانِ رَاسِخٍ،
وَيَقِينِ ثَابِتٍ

مُسَوِّغٌ عَطْفِ
الاسْمِ عَلَى
الْفِعْلِ

(1) أَبُو حَيَّانَ، الْبَحْرُ الْمَحِيطُ: 5/ 521.

(2) ابْنُ جُرَيْجٍ، التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ، ص: 442.

كَانَ مَجْرُورَ اللَّفْظِ بِاللَّامِ، إِذْ لَا يَسُوغُ نَصْبُهُ عَلَى الْمَفْعُولِ لِأَجْلِ لَانَّهُ
لَيْسَ مَصْدَرًا صَرِيحًا⁽¹⁾.

عَلَّةُ تَنْكِيرِ ﴿وَهْدَى وَبُشِّرَى﴾:

والتَّنْكِيرُ فِي ﴿وَهْدَى وَبُشِّرَى﴾؛ لَتَفْخِيمِ الْهَدَايَةِ وَالْبُشْرَى وَتَعْظِيمِهِمَا؛
لِجَلَالَةِ الْمُبَشِّرِ سُبْحَانَهُ وَعَظَمَتِهِ.

إِثَارُ الْوَصْفَيْنِ: (الْهُدَى)، وَ(الْبُشْرَى) دُونَ غَيْرِهِمَا وَمِرَاعَاةُ التَّرْتِيبِ بَيْنَهُمَا:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهْدَى﴾ مَجَازٌ عَقْلِيٌّ؛ إِذْ أَسْنَدَ الْهَدَايَةَ لِلْقُرْآنِ،
وَالْهَادِي الْحَقِيقِيُّ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَوْثَرُ الْوَصْفَانِ: (الْهُدَى)، وَ(الْبُشْرَى) دُونَ غَيْرِهِمَا؛ لِأَنَّ
الْهَدَايَةَ هِيَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ الَّذِي يَرْجُوهُ الْمُسْلِمُ وَيَسْعَى إِلَيْهِ، وَأَمَّا
الْبُشْرَى؛ فَهِيَ ثَمَرَةُ الْهُدَى أَوْ الْهَدَايَةِ.

وَتَقْدِيمُ (الْهُدَى) عَلَى (الْبُشْرَى) مِنْ بَابِ تَقْدِيمِ الْأَهَمِّ عَلَى
الْمُهْمِّ، وَالْأَصْلُ عَلَى الْفَرْعِ؛ فَكَوْنُ الْقُرْآنِ كِتَابَ هَدَايَةٍ هُوَ الْأَصْلُ، أَمَّا
بِشَارَةُ لِلْمُسْلِمِينَ؛ فَهَذَا بَعْدَ كَوْنِهِ كِتَابَ هَدَايَةٍ.

دَلَالَةُ لَامِ الْجَزْفِ فِي ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾:

وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهْدَى وَبُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ لِلَاخْتِصَاصِ،
فَمَا ذُكِرَ مِنْ مُبَشِّرَاتٍ، فَهِيَ لِلْمُسْلِمِينَ الْمُوَحِّدِينَ الْمُتَقَادِينَ لِأَوَامِرِ
رَبِّهِمْ خَاصَّةً.

وَجْهُ الْعُدُولِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ:

عَدَلَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فِي خِتَامِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ؛ لِيَجْمَعَ
لَهُمْ بَيْنَ وَصْفَيْنِ عَظِيمَيْنِ: الْإِيمَانَ وَالْإِسْلَامَ، وَلِيُشِيرَ إِلَى أَنَّهُمْ
طَائِعُونَ مُتَقَادُونَ لِرَبِّهِمْ وَمُسْتَسْلِمُونَ لِإِرَادَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَمُصَدِّقُونَ
لِلرَّسُولِ ﷺ فِي كُلِّ مَا بَلَغَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَصَفَانِ
مُتَكَامِلَانِ

الْمُبَشِّرَاتُ
لِلْمُسْلِمِينَ
خَاصَّةً

الْجَمْعُ بَيْنَ
وَصْفَيْنِ عَظِيمَيْنِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 284 / 14.

نكتة العدول عن الإضمار إلى الإظهار:

زيادة مدح
للمؤمنين بوصف
آخر شريف

عُدل عن الإضمار إلى الإظهار في قوله تعالى: ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ حيث إنَّ المراد بالمُسْلِمِينَ: الَّذِينَ آمَنُوا، فكان مقتضى الظاهر أن يُقال: وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لَهُمْ، فعُدل إلى الإظهار؛ لزيادة مدحهم بوصف آخر شريف⁽¹⁾.

بلغة التعريض في قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾:

التعريض
بِحصول أضرار
هذه الصفات
للمشركين
والمُنكرين

قوله سبحانه: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾ مفعول لهما معطوف على محل ﴿لِيُثَبِّتَ﴾، والتقدير: (تثبيتاً لهم وإرشاداً وبشارةً)، وفيه تعريض بحصول أضرار هذه الصفات للمشركين والمُنكرين، بيان هذا أن قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جواب عن رمي المشركين الرسول ﷺ بالافتراء، وهذا الجواب أدخل في الأسلوب الحكيم؛ حيث إنهم أرادوا بقولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ أن هذا ليس من كلام الله؛ لأنَّ الله تعالى لا يسخر من أحدٍ يأمر بشيءٍ، وينهى عنه غداً، بل هو من تلقاء نفسك، فأجيبوا بأنَّ هذا من عند الله تعالى، ثمَّ زيد في التصوير بأنَّ قيل: ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾، ثمَّ زيد قوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾؛ لِيُثَبِّتَهُ عَلَى الدَّفْعِ عَنِ الطُّعْنِ بِالطُّفِ الْوَجُوهِ؛ أي: تنزيله مُلْتَبِساً بِالْحَقِّ وَالْحِكْمَةِ، كما تقتضيه مصالح النَّاسِ، ثمَّ نعى على سخافة عقولهم، وقبح أفعالهم، فقال: ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ تعريضاً بأنَّ أضرار تلك الخصال حاصلَةٌ فيهم، وأنَّهم مُتَرَلِّزُونَ ضَالُّونَ مُوَبَّخُونَ مُنْذَرُونَ بِالْخِزْيِ وَالنَّكَالِ، وَاللَّعْنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وأنَّ أعداءهم على التَّقْيِضِ مِنْ هَذَا؛ ليزيدَ في غِيْظِهِمْ وَحَنَقِهِمْ⁽²⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 284 / 14.

(2) الطَّبَّيْ، فتوح الغيب، حاشية على تفسير الكشاف: 196 / 9.

بيان التعليل في الفاصلة:

أشار ابنُ عاشور إلى بيان التعليل في الفاصلة بقوله: "وفي التعليل بِحِكْمَةِ التَّثْبِيْتِ وَالْهُدَى وَالْبُشْرَى بَيَانُ لِرُسُوحِ إِيْمَانِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَدَادِ آرَائِهِمْ فِي فَهْمِ الْكَلَامِ السَّامِيِّ، وَأَنَّهُ تَثْبِيْتُ لِقُلُوبِهِمْ بِصِحَّةِ الْيَقِينِ، وَهُدًى وَبُشْرَى لَهُمْ"⁽¹⁾.

بَيَانُ لِرُسُوحِ
إِيْمَانِ الْمُؤْمِنِينَ،
وَرَجَاحَةِ
عُقُولِهِمْ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 285 / 14.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والعشرون،
سورة النحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والعشرون، سورة النحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.
مج. 27، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-768-24-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 27: المجلد السابع والعشرون، سورة النحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-24-1

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-7597590 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»